بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله صلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين..

أمَّا بعدُ..

موضوع الكَلمة عن آية من كتاب الله ﷻ في أواخر وخواتم سورة مريم وهو قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ وهـٰذه الآية الكريمة فيها بيان ثمرةٍ عظيمة من ثمار الإيمان، وأثر مبارك من آثاره العظام، ألا وهو أن الله ﷻ يجعل للمؤمن الذي يعمل الصالحات وُدا في قلوب عباده، وتأمل قول الله ﷻ في هـٰذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ﴾ فهـٰذا منٌّ الله ﷻ وفضله وتوفيقه سبحانه وهو -كما قدمتُ- أثر من آثار الإيمان والأعمال الصَّالحات.

وفوائد الإيمان لا حصر لها، وقد كتب فيها أهل العلم كتابات نافعة، ومن أميز ذلك ما كتبه العالم المحقِّق الشَّيخ عبد الرحمـٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في كتابه «التَّوضيح والبيان لشجرة الإيمان» حيث عقد فيه فصلًا في بيان فوائد الإيمان وثماره وآثاره.

وهـٰذه الفائدة التي دلَّت عليها هـٰذه الآية الكريمة

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ يبيِّنها الحديث الذي في صحيح مسلم (ح٢٦٣٧) حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد أورده عامَّة المفسرين عند هـٰذه الآية الكريمة؛ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»، (**يُوضَعُ**) تأمّل هنا وفي الآية قال: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الأمر بيده جلَّ وعلا، قال: «**وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ**» نسأل الله لنا جميعًا العافية، **قَالَ**: «**فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ**» وهـٰذا الحديث لما خرّجه مسلم في «صحيحه» ذكر في بعض طرقه -طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة- قصة، وهي أن سهيل بن أبي صالح يقول: كنا وقوفًا في عرفة فمرَّ عمر بن عبد العزيز فأقبل النَّاس عليه ينظرون إليه؛ أي: نظرة حبّ وتقدير ومودّة، فقلت: يا أبي إني أرىٰ أن الله يحبّ عمر بن عبد العزيز. فقال: وما ذاك يا بني؟ قلت: لما له من الحبِّ في قلوب النّاس، قال: بأبيك أنت سمعتُ أبا هريرة يحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا..**» وذكر الحديث.

وجاء عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه أنه كتب إلىٰ مسلمة بن مُخَلَّد رضي الله عنه وكان وَلِي مصر فقال له: سلام عليك.. أمَّا بعد، فإنّ العبد إذا أطاع الله أحبَّه اللهُ، وإذا أحبَّه الله حبَّبه إلىٰ عباده، وإنَّ العبد إذا عصىٰ الله أبغضه الله وإذا أبغضه الله بغَّضه إلىٰ عباده.

وهـٰذه البُغضة التي تكون من نصيب من يعصي الله ﷻ تُوضع في قلوب العباد، ولهـٰذا يجد الإنسان العاصي وحشة بينه وبين الصَّالحين من عباد الله خاصة، ويجد نفسه نافرة منهم، وأنَّه ليس منهم وليسوا منه، ولا يحرص علىٰ مجالستهم، وهـٰذا كله من شؤم المعصية وآثارها السَّيئة وعواقبها الوَخيمة علىٰ الإنسان في هـٰذه الحياة الدُّنيا.

ثم إنّ المؤمن عندما يقوم بالأعمال الصَّالحات يجب عليه أن يقوم بها مبتغيًا بها وجه الله راجيًا بها ثواب الله، لا يقوم بها تزلُّفًا للمخلوقين وتصنُّعًا للعباد ومراءاة للنَّاس، فإنَّ المراءاة والتصنُّع والتزلّف للنَّاس لا تزيد الإنسان عند الله إلا بُعدًا وفي قلوب النَّاس لا يزداد إلا مقتًا.

والعبادة لا يُتقرَّب بها إلَّا إلىٰ الله، ولا يطلب بها إلَّا ثواب الله، ولا يُرجىٰ من ورائها إلا نيل رحمة الله ﷻ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

أمَّا من يقوم بالعبادات من أجل النَّاس تصنُّعا وتزلُّفًا ومراءاة فهـٰذا لا يحصِّل ما أمَّل ويَحرم نفسَه ثواب تلك

الأعمال وأجورها، ففي الحديث القدسي [مسلم (ح٢٩٨٥)] يقول الله تعالىٰ : «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرك من عمل عملًا أشْرَك معيَ فيه غيري تركتُه وشركه**».

وممَّا يُروىٰ في هٰذا المقام ما رواه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إنَّ رجلا قال: لأعبد الله عبادة أُذكر بها -انظر إلىٰ النِّية- ثم أخذ يجتهد في العبادة، فكان لا يُرىٰ إلا قائمًا يُصلِّي قال: وكان أوَّل داخل للمسجد وآخر خارج منه؛ لٰكن النِّية ما هي؟ (عبادة أُذكر بها) قال: فلم يعظَّم، وكان كلَّما مرَّ بقوم قالوا: انظروا هٰذا المُرائي؛ لأنَّ الإنسان مهما حاول أن يخبِّئ خفاياه يفضحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجعل له قَبولًا أو محبَّة في قلوب العباد.

ولهٰذا ننتبه مرَّة ثانية لقوله: ﴿سَيَجْعَلُ﴾ وأيضًا لقوله: «**يُوضَعُ له**» هٰذا أمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: فكان لا يمرُّ بقوم إلَّا قالوا: انظروا إلىٰ هٰذا المُرائي. فقال: ما أراني أُذكر عند النَّاس إلا بشرٍّ. واربط هٰذا بقوله في بداية الكلام: (عبادة أُذكر بها)، عُومِل بنقيض قصْده حتىٰ الشَّيء الذي كان يطمع فيه في دنياه ما حصَّله، قال: فلمَّا رأىٰ هٰذه الحال قال: لأجعلنَّ عملي كلَّه لله، وقَلَب نيَّته، قال: فما أن قلب نيَّته ولم يزد علىٰ العمل الذي كان يعمل حتىٰ كان لا يمرُّ علىٰ قوم إلَّا قالوا: رحم الله فلانًا، يعني أصبح في ألسنة الناس الدُّعاء له، ثم تلا الحسن

قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.

والعبد ينبغي أن يسعىٰ في هٰذه الحياة في نيل محبَّة الله ونيل محبة عباد الله، وقد جاء في ابن ماجه (ح٤١٠٢) وغيره [الصحيحة (ح٩٤٤)] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلا قال: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، قال: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسِ**»، الشَّاهد أنَّ الإنسان يجتهد في هٰذه الحياة في نيل محبَّة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولن ينال هٰذه المحبَّة بمجرَّد الأماني ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النساء:١٢٣] بل لهٰذا علامة وبيَّنة بيَّنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، ومن الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممّا يتعلَّق بهٰذا المقام [الترمذي (ح٣٤٩٠)]: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ**».

ولِيَكُن هٰذا الدُّعاء ختام هٰذا اللِّقاء، والله أعلم وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسول الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾

كلمة

للشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله

النسخة الإلكترونية الأولىٰ

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

راجعها الشيخ